البصير

من أسماء الله الحُسنى البصير ، وقد ورد في الحديث أنّ البصير اسمٌ من أسماء الله الحُسنى ، ولنستعرض أوّلاً معنى هذا الاسم في اللغة :

البصر : هو العين ، أو حاسة الرؤية ، وقيل : البصر هو النور الذي تدرك به المبصرات ، ومعلوم أن العين مهما تكن حادة النظر ومهما يكن الشيء واضحاً فلا بد من وسيط من النور يتيح للعين أن ترى هذا الشيء ، ويمكن أن تُسحب هذه الحقيقة على العقل ، فالعقل مهما كان حاد الذكاء ، ومهما كانت الأمور واضحة وضوح الشمس ، لابد من نور إلهي يكشف لهذا العقل حقيقة الأشياء ، لذلك قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الأنفال : ٢٩] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحديد : ٢٨] .

ودون هداية الله ، دون وحي السماء ، من دون خطاب الله للبشر ، فإنّ العقل يَضل ويُضل ، وينحرف ويُحرف ، فالبصير من البصر ،

والبصر هي العين ، والبصر حاسة الرؤية ، والبصر النور الذي تُدرك به المبصَرات ، هذه المعاني وردت في معاجم اللغة .

والبصر ايضاً نفاذ الحقيقة في القلب ، والبصيرة قوة القلب المدركة للحقائق ، نقول فلان ذو بصيرة أي في قلبه قدرة على كشف الحقائق ، والمبصر هو العالم والحاذق ، والتبصر هو التأمل والتعرف والثبات في الدين .

قبل أن نمضي في التعرّف إلى هذا الاسم العظيم ينبغي أن نوضح هذه الحقيقة ، وهي أن مشكلة معظم الناس هي في انحراف الرؤية وفي خطأ الرؤية ، لأن الإنسان في الأصل مفطور على حب ذاته وحب وجوده ، يحب ذاته ، كما يحب سلامة وجوده ، يحب كمال وجوده ، كما يحب استمرار وجوده ، فكيف يسلك طريقاً فيه هلاكه ، فكيف يقترف المعاصي والآثام ؟ فكيف يهلك نفسه بمعصية ربه ؟ يهلكها لأنه رأى خطأ أن المعصية مغنماً لا مغرماً ، لأنه راى خطأً أن كسب هذا المال من طريق غير مشروع ربح له فالإنسان يحب ذاته فحرصه على سلامة وجوده ، وحرصه على كمال وجوده ، وحرصه على استمرار وجوده ، يقتضي أن يقوم بطاعة الله عز وجل ولا يتوانى .

هؤلاء الذين يقترفون المعاصي والآثام ، وهؤلاء الذين يرتادون الأماكن المحرمة لماذا ارتادوها ؟ لماذا أقبلوا على المعصية ؟ لأنهم توهموا أنها تسعدهم ، ولو عرفوا أن طاعة الله عز وجل هي وحدها التي تسعدهم وأن الأقبال عليه هو الذي يطمئنهم لما سلكوا هذا الطريق .

فما الفرق بين مؤمن مستقيم على أمر الله ، وعاص متفلت من أمر الله ؟ . . هناك فرق بينهما ، هو الرؤية .

سيدنا يوسف حينما دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله رب العالمين ، ما الذي جعله يحجم عن اقتراف هذه المعصية ؟ رؤيته لما تنطوي عليه من هلاك ومن بعد عن الله عز وجل ، فهذا الذي إذا دعته امرأة ذات منصب وجمال أقبل على هذه المعصية ما الفرق بينه وبين هذا الطائع ؟ . . الرؤية فقط . . إن صحت رؤيتك صح عملك ، وإن صح عملك سعدت في الدنيا والآخرة ، وإن انحرفت رؤيتك فسد عملك وإن فسد عملك هلكت في الدنيا والآخرة ، أكاد أقول إن الفرق الوحيد بين الشقي والسعيد ، بين المستقيم والمنحرف ، صحة الرؤية أو خطأ الرؤية .

لذلك بِمَ كان يدعو عمر رضي الله عنه ؟ كان يدعو ويقول : **« اللهم! أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه »** .

إنّ أحدنا حينما يرى أن المعصية مهلكة له ، وأن الطاعة مغنمٌ له ، هذه نعمة ، والله الذي لا إله إلا هو لا تُقَدَّر بثمن ؛ لا تُقدر بثمن أن ترى الحق حقاً ، لأن هناك من يرى الباطل حقاً ، وأن هناك من يرى الحق باطلاً ، أما أن ترى الحق حقاً ، أما أن ترى الباطل باطلاً فهذه من كبرى النعم .

شيء ثمين جدًّا إن رأيت الحق حقاً ، وإن رأيت الباطل باطلاً ، وبعد فأنت بحاجة إلى إرادة قوية تحملك على اتباع الحق وترك الباطل ، رؤية وإرادة ، أرنا الحق حقاً ، والباطل باطلاً .

في الكون آلاف مؤلفة ، وملايين مملينة ترى الحق باطلاً ، وترى الباطل حقاً ، فإذا جاءت رؤيتك مطابقة لمنهج الله ، إن رأيت الحق حقاً إن رأيت الباطل باطلاً ، هذه نعمة دونها الكثير من النّعم .

من عادتي أنني إذا رأيت شاباً مؤمناً مستقيماً ، أن أقول له دائماً أعظم نعمة أنت فيها هي نعمة الهدى ، نعمة أن رؤيتك صحيحة نعمة أن في قلبك نوراً يريك الحق حقاً والباطل باطلاً ، الإنسان إذا اتصل بالله ولاذ بالله ، وانطلق لتنفيذ أمر الله ، الله يلقي في قلبه النور .

ففي اللغة إذاً ؛ البصر هو العين ، والبصر حاسة الرؤية ، والبصر نور يقذفه الله في القلب ، والبصر هو النور الذي يتوسط بيننا وبين المبصَرات ، والبصر قوة القلب في كشف الحقيقة ، والبصير والمبصر هو العالم الحاذق ، والتبصر هو التأمل والتعرف والثبات على الدين ، هذا ما جاء في معاجم اللغة حول كلمة البصير .

أما البصير بمعنى المبصر فهو فعيل بمعنى مفعول ، كأن تقول جريح بمعنى مجروح ، وقتيل بمعنى مقتول ، البصير ؛ بمعنى المبصر ، في اللغة يأتي هذا المعنى .

ومن بعد فاسم البصير من أسماء الله الحُسنى ، وهو المبصر لجميع المبصَرات وكل ما في الكون فالله سبحانه وتعالى يبصره ، كل المبصَرات ربنا عز وجل بصير بها .

البصير ؛ هو الذي يشاهد الأشياء كلها ، ظاهرها وخفيها من دون جارحة ، في البحث السابق تحدثت عن السميع ، وبيّنت أن الله عز وجل يسمع دون أداة ودون جارحة تغير في ذاته ، نحن إذا استمعنا إلى شيء لابد من أن يهتز غشاء الطبل لدينا حتى نسمع ، لكنّ الله

تعالى يسمعُ دون آلة دون جارحة دون تغير في ذات الله عز وجل ، والبصر في حق الله تعالى عبارة عن الصفة التي ينكشف بها كمال نعوت المبصَرات ؛ الشيء إذا انكشف لك انكشافاً تاماً فقد أبصرته ، قد ينكشف لك ظاهره ، إذا انكشف لكِ ظاهره فأنت لم تدرك كمال صفته .

قد تأتي أنت بقطعة ماس ثمنها نصف مليون ليرة تضعها في الوحل ثم تضعها في الشمس تبدو لك كَدَرة ، فإذا رأيت ظاهرها ظننتها كدرة ، لذلك كمال الإبصار أن ترى حقيقة الشيء .

لذلك قالوا الإبصار هو الصفة التي ينكشف بها كمال نعوت الأشياء ، هذه الماسة التي يزيد ثمنها على نصف مليون ليرة ، إذا غمستها في وحل ثمَّ جففتها تبدو لهذه العين كدَرَة ، ما معنى اسم البصير ؟ معنى اسم البصير هو الذي تنكشف له كمال صفات الأشياء ؛ يعني أنت كإنسان بهذه العين تراها كدرة ، لكن كمال اسم البصير يراها ماسة ، فرق كبير .

وهذا يعني أنّ الله عز وجل يعرف كل شيء ، لا يخفى عليه شيء ، أما نحن فنرى ظاهر الأشياء ، لكن باطنها ، وحقيقتها محجوبة عنا ، وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يحكم بالظاهر والله متولي السرائر .

الفكرة دقيقة ، يعني اسم البصير ؛ هي الصفة التي ينكشف بها كمال صفة المبصرات ، لو افترضنا أنّ إنساناً قصير القامة أسمر اللون أحنف الرجل ناتىء الوجنتين غائر العينين مائل الذقن ، وقد يكون أعلم علماء الأرض في علم من العلوم ، فأنت إذا نظرت إلى شكله

رأيته إنساناً قميئاً ، لكن لو علمت ما ينطوي عليه من علم لأكبرْته أعظم إكبار ، فإذا نظرت بعينك إليه فأنت لم تكشف كمال صفات هذا الإنسان ، أما إذا أدركت علمه وأخلاقه ، أكبرته وأعظمته ، طبعاً هذا ورد في التاريخ عن أحد التابعين وهو الأحنف بن قيس وصفه من وصفه فقال : كان قصير القامة أسمر اللون مائل الذقن أحنف الرجل ، غائر العينين ، ناتىء الوجنتين ، ليس شيء من قبح المنظر إلا آخذ منه بنصيب ، وكان مع ذلك سيد قومه ، إذا غضب غضب لغضبته مئة ألف سيف لا يسألونه فيمَ غضب ؟

لو أن واحداً من الناس نظر إلى الأحنف بن قيس ، فرأى فيه هذه الصفات التي لا تُرضي ، فظن أنه شخص عادي ، فهل أدرك بعينه هذه كمال صفات هذا التابعي الجليل ؟ لا .

معنى اسم البصير ؛ صفة لله عز وجل تنكشف بها كمالات نعوت الأشياء ، بصير يعلم كل شيء ، يبصر كل شيء ، ظاهر الشيء وباطنه وخلفيته ، وما ينطوي عليه ، أحياناً إنسان يضرب يتيماً ، والله عز وجل قال :

﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ [الضحى : ٩] .

والنبي ﷺ يقول : « **أدن اليتيم منك وألطفه وامسح برأسه ، وأطعمه من طعامك ، فإن ذلك يلين قلبك ويدرك حاجتك** » .

ولكن قد يضربه ، هذا حينما يضرب اليتيم كأنه ارتكب معصيةً ، كأنه سقط من عين الناس ، لكن إذا ارتكب هذا اليتيم عملاً قبيحاً يقتضي الحال أن يضربه ليؤدبه ، وقد سئل النبي عليه الصلاة والسلام : عن ضرب اليتيم . فقال : تضربه مما تضرب به ولدك .

إنسان راقٍ جداً وعنده يتيم اقترف معصية كبيرة ، فأراد أن يؤدبه فضربه ، لو أن إنساناً نظر إليه وهو يضربه لاحتقره . . هذا يتيم كيف تضربه ؟ لكن الله نظر إلى نيته العالية ، فالمعنى أن الله مبصر . الله بصير ، بمعنى أن الله تنكشف له بهذه الصفة كمال صفات هذا الضارب ، هو يضربه لله ، يضربه ليؤدبه ، يضربه ليحمله على الاستقامة ، الفكرة دقيقة ، ينكشف بهذه الصفة كمال صفات الأشياء .

البصير إذاً هو المبصر لجميع المبصرات ، والبصير هو الذي يشاهد الأشياء كلها ظاهرها وخفيها دون جارحة ولا أداة ولا تغير في ذات الله ، والبصر في حقه تعالى عبارة عن الصفة التي تنكشف فيها كمالات نعوت الأشياء .

وقيل البصير هو المبصر ، المتصف بالبصر لجميع الموجودات دون حاسة ودون آلة ، فيعلم تعالى جميع المبصرات تمام العلم ، وتنكشف له تمام الانكشاف .

ما علاقتنا بهذا التفسير ، نحن نسعد كثيراً حينما نعلم أن الله يعلم النيات ، يعلم سلامة صدرك ، يعلم حبك للخير ، يعلم أن هذا الخطأ لا تقصده ، يعلم أن هذا الوضع الحرج الذي وقعت فيه لا تريده ، يعلم أن هذه الكلمة التي قلتها لم تكن تريد أن تقولها ، أنت حينما تعلم أن الله يعلم حقيقة كل شيء ، هذا مما يسعدك ، لأن الله قال :

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق : ١٢] .

يجب أن تعلم أن الله يعلم ، وحينما تعلم أن الله يعلم ترتاح نفسك .

مثلاً إنّ الموظف يجلس وراء الطاولة سبع ساعات ثمّ يخرج ليقف على شرفة دقيقة واحدة ، يراه المدير العام يقف خلف النافذة ، فيغضب ويثور . حالة غريبة ، سبع ساعات وراء الطاولة يعمل ، فلما وقف دقيقة واحدة خلف النافذة دخل المدير العام فرآه يتنزه فعنّفه ، لأنه لا يعلم حالهُ طوال سبع ساعات بل رآه واقفاً خلف النافذة فلامهُ .

فالإنسان علمه ناقص ، لكنك مع الله مطمئنّ مرتاح لأنه يعلم سلامة صدرك ، يعلم أنك ما أردت هذا الذي حصل ، يعلم أنك تُكِنُّ للناس كل خير ، يعلم أنك بريء من هذه التهمة .

لذلك قال أحدهم كلمة رائعة ، قال لي مرةً الحمد لله على وجود الله ، والحمد لله على علم الله ، وهو موجود ويعلم ، الله عز وجل لا يحتاج إلى إيصال يثبت حقًّا ، ولا إلى شهادة ، ولا إلى حلف يمين ، ولا إلى بينة ، هو يعلم .

الله عز وجل بصره كامل ، ينكشف باسم البصير كمال صفة المبصر ، وهذا مما يسعد الإنسان أي سعادة .

كم من إنسان مظلوم متهم تهمة هو بريء منها ، على نطاق الأسرة أحياناً يقول كلمة هو لا يقصدها تفسَّر تفسيرات أخرى ، يفعل فعلاً لا يريده ، مصادفةً يفسَّر تفسيرات أخرى ، لكن الضمانة العظيمة هي أن الله يعلم .

وبالمناسبة ، رحم الله عبداً جب المغيبّة عن نفسه ، نحن مضطرون إلى أن نخرج قليلاً ولنضْرب أمثلةً فالنبي عليه الصلاة والسلام جاءته السيدة صفية إلى معتكَفه ، أراد أن يوصلها إلى البيت مر رجلان من

الأنصار قال النبي الكريم : « **على رِسْلِكما** » ، وقفا ، قال : « **إنها صفية بنت حيي** » ، قالا : سبحان الله! يا رسول الله! ، قال : « **إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم فخشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً** » [سنن أبي داود] عن صفية .

صحيح أنّ الله يعلم لكنك مكلف أن تبين ، أن توضح ، الله جل جلاله يعلم ، لكن لا يكفي أن تقول الله يعلم ثمّ تضع نفسك موضع التهمة ، لا يكفي أن تقول الله ناظر إلي وأنت في وضع متهم فيه ، لا هذا ليس من السنة ، يجب أن تعلم أن الله يعلم ، ويجب أن تدفع عن نفسك كل الشبهات .

يعني لو دخل رجل إلى بيت فيه امرأة لا تحل له ، ليست من محارمه ، وهو أنقى من ماء الثلج ، وهو في طهر الملائكة ، وجودك في بيت مع امرأة موقف متَّهم فيه ، لا تفعل هذا ، الخلوة محرمة في الإسلام ، لذلك سد الذرائع باب عظيمٌ . هناك مواقف لا شك أنك طاهر ومستقيم ومتملك لزمام نفسك ، لكن أي موقف يضعك موضع التهمة الشرع يأمرك أن تبتعد عنه ، أحياناً تدخل إلى محل تجاري لا يوجد فيه أحد ، يجب عليك أن تخرج فوراً ، . . أنا أنتظر صاحبه . . أُخرج ، أنت الآن في موضع متهم فيه ، لا يوجد أحد ، وأنت لست صاحب المحل ما الذي يبقيك في هذا المحل ؟!

لذلك أروع شيء أن تطيع الله في خلوتك ، لأن طاعة الله في خلوتك علامة إخلاصك وصدقك ، وقد ورد في الأثر « **من لم يكن له ورع يصده عن معصية الله إذا خلا لم يعبأ الله بشيء من عمله** » .

العبرة أن تطيعه في خلوتك كما تطيعه في جلوتك ، أن تطيعه سراً

كما تطيعه علانيةً ، يشاهد ويرى ولا يغيب عنه ما في السموات العُلا ولا ما في الأرض وما بينهما ولا ما تحت الثرى ، وهو الحاضر الذي لا يغيب .

إنسان يغادر مركز عمله ، إذا كان مديراً لمعمل أو إذا كان مدير مستشفى أو مدير ثانوية ، يعني أكثر الناس ينصرفون قبل الدوام ، فالمدير عليه أن يكون في مكان عمله ، الإنسان إذا كان موجوداً يرى ، أما إذا غاب فلا يرى . لكن الله سبحانه وتعالى حاضر لا يغيب .

البصير : ورد في كتاب الله في أربعين موضعاً . ففي البقرة :

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة : ١١٠] .

وبعد وفي ضوء فهمنا الدقيق في الصفحات السابقة لمعنى البصير ، يعني هذا العمل له ظاهر له خلفية له باطن له نية ، له ملابسَات سبحانه وتعالى بصير بما تعمل ، يعني يُبصر حجم عملك ، مقدار تضحيتك مقدار الصراع النفسي الذي سببه هذا العمل ، إن الله بصير به ، بصير بكل أبعاده ، بكل منحنياته ، بصير بخلفياته ، بصير بملابساته ، بصير بأهدافه ، بصير ببواعثه ، هذا معنى بصير .

أما أنت فتبصر عملاً أمامك ، كأن ترى إنساناً يضرب ابنه ، أما النيات والبواعث والأهداف والمقاصد والخلفيات والصراعات والتضحيات ، هذا العمل لا يعلم حجمه إلا الله ، ولا يعلم مقدار التضحية التي كانت من أجله إلا الله ، ولا يعلم المتاعب التي تحملها صاحبه إلا الله ، فربنا حين يقول :

﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد : ٤] .

يعني بصير بحجم أعمالكم ، ونياتكم وبواعثكم ومقاصدكم وأهدافكم وتضحياتكم ، والصراعات التي في أنفسكم .

﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران : ٢٠] .

بصير ؛ هناك إنسان يكذب وإنسان لا يكذب ، إنسان مغلوب على أمره ، إنسان متأثر ، والله بصير بالعباد جميعهم .

قد يُلقي إنسان كلمة على جمع غفير فإن صدى هذه الكلمة في علم الله ، هذا صدَّق ، وهذا استهزأ ، وهذا لم يبال ، وهذا ارتعدت فرائصه ، وهذا خاف .

﴿ وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة : ٧١] .

وفي الإسراء : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء : ١٧] .

مرة وقفت في سفح جبل ؛ قاسيون ، ونظرت إلى مدينة دمشق ممتدةً يمنةً ويسرةً شمالاً وجنوباً شرقاً وغرباً ، فهذه البيوت بطوابقها بأقبيتها ماذا فيها من طاعات أو معاص ؟ من يعلم ؟ الله وحده .

منظر هذه المدينة من سفح الجبل مدينة هادئة وادعة أبنية مضاءة متلألئة . لكن داخل البيوت يا ترى أهُنَاك صلوات أم موبقات ؟ هل هناك نكاح أم سفاح ؟ من يعلم ؟ . . . الله الذي يعلم .

يعني أنت لا تعلم ، وقد يسكن إنسان في مدينة وهو لا يعلم ما فيها هو مؤمن يرتاد بيوت الله عز وجل ، له إخوة كرام ، يحسن الظن في جميع الناس ، لكن حجم المعاصي في أي بلدة ، حجم الموبقات ، الذين يشربون الخمر ، الذين يقترفون جريمة الزنى ، من يعلم ذلك ؟ لا أحد إلا الله .

وما كنت أصدق في حياتي أن امرأة في مكان رفيع كأنها ملكة تعقد مؤتمراً صحفياً يُبَث في جميع أنحاء العالم تقول لقد زنيت، مع فلان ، فنحن في أي عصر نعيش ؟! قال تعالى :

﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النحل : ٢١] .

يعني امرأة مرشحة لتكون ملكة في بلاد الغرب ، تعقد مؤتمراً صحفياً وعلى كل أجهزة الإعلام وقد بُثت في محطات الفضاء لتقول للناس : إنني خنت زوجي وزنيت مع فلان.. سبحان الله كم بيننا وبين أهل الفسق والفجور من مسافات شاسعة ، البيت المسلم بيت شريف ، بيت طاهر ، بيت نقي ، فالإنسان لو زلت قدمه يجب أن يستر نفسه .

﴿ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [غافر : ٢٠] .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [غافر : ٥٦] .

وفي سورة الملك : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴾ [الملك : ١٩] .

إن هذا الاسم هو أقرب الأسماء إلينا ، ما اسم الغفور مثلاً ؟ واسم رب العالمين ،وغيرهما من أسماء الله الحسنى ، هذه أقرب الأسماء إلينا ، وكذلك اسم البصير لأن النبي عليه الصلاة والسلام يروى عنه : « **أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت** » ، وأرقى حالات المؤمن أن يشعر أنه تحت مراقبة الله عز وجل .

أفضل حالات المؤمن أن يعبد الله كأنه يراه ، فإن لم يكن يراه فإن الله يراه يعني أن تشعر أن الله يراك ، هذه درجة في الإيمان عالية جداً أن تشعر دائماً أن الله معك ، أن الله **معك** في خلوتك وفي جلوتك وفي مجلسك ، وعند ذكرك ونطقك ، وفي سفرك وفي حضرك ، هذا الشعور المستمر من نِعَم الله العظمى وهو درجة من درجات الإيمان العالية .

أحد العلماء يرى : أن البصير هو الذي يشاهد ويرى حتى لا يعزُب عنه ما تحت الثرى .

إبصاره منزّه عن أن يكون بحدقة أو أجفان ، مقدّس عن أن يرجع إلى انطباع الصور والألوان كما ينطبع في حدقة الإنسان ؛ فإن ذلك من التأثر والتغيير المقتضي للحادث المنزه عنه القديم .

كما ذكرت في بحث اسم السميع ؛ إنه لا يُعقل ولا يليق بالله عز وجل أن يبصر بحاسة ولا بأداة ولا بتغير ، يعني الشبكية إذا سقط عليها ضوء تحدث الرؤية ، وتعريف الصورة ؛ هي مجموعة نقاط متفاوتة في الإضاءة ، لو أتيت بصورة وكبرتها ، ترجع إلى نقاط ، وكلما كثرت هذه النقاط كانت الصورة دقيقة أكثر ، لكنها في الحقيقة نقاط متفاوتة في الإضاءة ، فهذه الصورة إما منبع ضوئي أو منعكس

ضوئي إذا وقع على حدقة العين وانكسر إلى الشبكية ، فانطبعت عليها ، الشبكية فيها مادة كيمائية ، تتأثر بالضوء وتأثرها بالضوء يشكل تياراً كهربائياً ، هذا ينتقل عبر العصب البصري إلى الدماغ . وفي الدماغ تكشف حقيقة الصورة .

بشكل مختصر ، يعني في العين مئة وثلاثين مليون عصية ومخروط ، هذه العصيات والمخاريط فيها مواد كيماوية ، تتأثر بالضوء ، فإن تأثرت تشكل تيار كهربائي هذا التيار ينتقل عبر العصب البصري إلى الدماغ . الصورة تنطبع على شبكية العين إحساساً وتنتقل إلى الدماغ فتفسر هناك إدراكاً بحسب المفهومات السابقة ، فالإنسان متى يرى ، يرى الصورة التي هي مجموعة نقاط مضيئة أو متفاوتة في الإضاءة هذه تؤثر في تركيب العصيات والمخاريط ، من هذا التأثر والتأثير يتشكل تيار كهربائي ، هذا التيار يسري عبر العصب البصري إلى الدماغ ، في الدماغ تُفسر هذه الصورة في ضوء المفهومات السابقة ، والمعنى أنّه لو لم يحدث تغيير في شبكية العين والعصيات والمخاريط ، ولو لم يحدث تأثر هذه المواد الكيماوية بالضوء لما انتقلت الصورة .

الله جل جلاله منزَّه عن أن يبصر بحاسة أو أداة أو تغيير في ذاته ، وإذا نُزه الله جل جلاله عن ذلك كان البصر في حقه عبارة عن الصفة التي تنكشف بها كمالات المبصرات ، صفة في ذات الله زائدة على علمه ، تُكشف بها حقيقة كمالات صفات الأشياء .

وبعد كلّ هذا الإيضاح فما الأدب الذي ينبغي أن نتأدب به حيال هذا الاسم العظيم ؟ الله عز وجل بصير ، ولأنك إنسان مكرّم ، مخلوق مكرّم ، قال تعالى :

﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧٠] .

لأنك مخلوق مكرّم ، والله بصير ومن فضله وتكريمه لك مَنَحك حاسة البصر ، لماذا أودع الله فيك هاتين العينين ؟ .

﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴾ [البلد : ٨] .

العين السليمة لو درَّجنا لوناً أخضر أو أحمر أو أي لون آخر ثمانمئة ألف درجة ، العين السليمة تدرك الفرق بين كل درجتين .

والعين السليمة تبصر مباشرة من دون معالجة للأفلام ، الفلم يحتاج إلى تحميض ، العين تبصر مباشرة ، وتدرك الشيء بحجمه الحقيقي ، أُنظر إلى الجبل تراه بحجمه الحقيقي ، كذلك إذا نظرت إلى صورة الجبل مصوَّراً فإنّك تراه بحجم أربع سنتمرات . أما العين فهي تدرك الشيء بحجمه الحقيقي .

هذه العين فيها مطابقة والمطابقة شيء لا يصدق ، ففي علوم الفيزياء هناك العدسة البلّورية : لو وضعنا أمامها شمعة وخلف هذه العدسة في محرقها لوحة ، لا ينطبع خيال الشمعة على اللوحة إلا في مكان واحد فقط ، فلو أزحناها قليلاً أصبح الظل أو المرتسم على هذه اللوحة غير واضح ، إذا غيرنا مكان الشمعة نحتاج إلى تعديل مكان اللوحة لأنه تغيَّر المحرق لكن العدسة التي أودعها الله في الإنسان عدسة مرِنة ، فإذا رأيت الشيء يتحرك فبدلاً من أن تحرك الشبكية ، فإن العدسة يزداد احديدابها أو يقل هناك عضلات اسمها عضلات هدبية ، تضغط على هذا الجسم البلوري فتزيد احديدابه أو تقلله ، هذه العضلات تزيد الاحديداب أو تقلله بالمكرونات .

وبعد هذا الشرح يطالعنا سؤال كبير ، كيف ضُغط هذا الجسم حتى جاء الخيال على الشبكية ؟ من حسب المسافة بينك وبينه ؟ . هل رأيته أولاً ثمّ حسبت المسافة ؟ لا ، إن رأيته فقد رأيته ، وإن لم تره كيف حسبت المسافة ؟ عملية المطابقة في العين من أعظم الأدلة الدالة على وجود الله وعلى عظمته ، يعني يعجز عن فهمها العلماء ، المطابقة ، ضمن ستة أمتار ، لذلك الإنسان إذا سكن في مدينة مكتظة يضعف بصره ، يحتاج إلى نظارات ، أما أهل البادية فالعين عندهم مستريحة دائماً لأنها تنظر إلى مسافات بعيدة فلا تحدّها أو تقف دونها حواجز تضعفها .

هذه العين سُميت كريمة الإنسان لأن الله كرَّمه بها . لماذا خلقها الله له ؟ ليرى بها العورات ؟! ليرى بها الموبقات ؟! ليرى بها المحرمات ؟! ليرى بها النساء الكاسيات العاريات ؟! أم ليرى بها آيات الله الدالة على عظمته ، فالعين التي تغض عن محارم الله ، والعين التي تحرس في سبيل الله ، والعين التي ينهمر منها دموع من خشية الله هذه عين شريفة طاهرة مقدسة ، الله سبحانه وتعالى في الأعم الأغلب لا يُفجعك بها « **ومتعنا اللهم بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا** » .

يعني أي عين تغض عن محارم الله وتبصر آيات الله ، وتسبح الله وتكبّره وتحمده ، هذه العين المرجو من الله أن يحفظها لك إلى نهاية الحياة .

إذاً من أدبنا مع اسم البصير الذي منحنا نعمة البصر أن نستخدم العين في أن نبصر بها آيات الله الدالة على عظمته .

قيل : من كان نظره عبرة ، ويقظته فكرة ، وكلامه ذكراً فهو مؤمن ، لذلك روي عن النبي الكريم ﷺ : « **أمرني ربي بتسع** (من هذه التسع) **أن يكون صمتي فكراً ونطقي ذكراً ونظري عبرةً** » [رواه رزين] .

هذا أول شيء ، يجب أن تستخدم العين في رؤية آيات الله الدالة على عظمته ، الشيء الثاني : يجب أن تعلم أن الله يبصرك ، الذي خلق نعمة البصر ألا يبصر ؟ . . قال تعالى :

﴿ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۞ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۞ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۞ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۞ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۞ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴾ [البلد : ٦ـ١١] .

الآية دقيقة المعنى جداً ، أيحسب أن لم يره أحد وهو يرى ، فالذي خلق لك البصر ألا يراك ؟ أيحسب أن لم يره أحد ؟ ألم نجعل له عينين يبصر بهما ؟ فالذي خلق لك العينين يراك حين تقوم ، قال تعالى :

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۞ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۞ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ۞ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الشعراء : ٢١٧ـ٢٢٠] .

وهنا أيضاً نقطة أخرى دقيقة جداً ، المؤمن الكامل لا يستهين بنظر الله إليه واطّلاعه عليه ، قال بعضهم : لا تجعل الله أهون الناظرين إليك ، فالإنسان يكون أحياناً أمام شخص فيحسّن نفسه ، يرجّل شعره ، يتعطر ، وإذا دخل إلى بيته يرتّبُه ، لأنه يستحي منه ، فلماذا يقارف الإنسان معصية وهو يعلم أن الله يراه ، فكأنه جعل الله أهون الناظرين إليه .

قال : من أخفى عن غير الله ما لا يخفيه عن الله فقد استهان

بنظر الله إليه ، إحدى ثمرات الإيمان أن تشعر أن الله معك وهو ناظر إليك .

قال أبو الجلد أوحى الله تعالى إلى نبي من الأنبياء قل لقومك ما بالكم تسترون الذنوب من خلقي وتظهرونها لي إن كنتم ترون أني لا أراكم فأنتم مشركون بي وإن كنتم ترون أني أراكم فلم تجعلوني أهون الناظرين إليكم .

وكان وهب بن الورد يقول خف الله على قدر قدرته عليك واستحي منه على قدر قربه منك ، وقال له رجل : عظني! فقال له : اتق الله أن يكون أهون الناظرين إليك .

وكان بعض السلف يقول أتراك ترحم من لم يقر عينيه بمعصيتك حتى علم أن لا عين تراه غيرك ، وقال بعضهم : ابن آدم! إن كنت حيث ركبت المعصية لم تصف لك من عيني ناظرة إليك فلما خلوت بالله وحده صفت لك معصية ولم تستحي منه حياءك من بعض خلقه ، ما أنت إلا أحد رجلين إن كنت ظننت أنه لا يراك فقد كفرت ، وإن كنت علمت أنه يراك فلم يمنعك منه ما منعك من أضعف خلقه لقد اجترأت .

دخل بعضهم غيضة ذات شجر فقال : لو خلوت ههنا بمعصية من كان يراني ؟ فسمع هاتفاً بصوت ملأ الغيضة : ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير .

راود بعضهم أعرابية وقال لها : ما يرانا إلا الكواكب! قالت : أين مكوكبها ؟

رأى محمد بن المنكدر رجلاً واقفاً مع امرأة يكلمها فقال إن الله

يراكما سترنا الله وإياكما وقال الحارث المحاسبي : المراقبة علم القلب بقرب الرب .

وسئل الجنيد بم يستعان على غض البصر ؟ قال : بعلمك أن نظر الله إليك أسبق إلى ما تنظره وكان الإمام أحمد ينشد .

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل على رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما يخفى عليه يغيب

وكان ابن السماك ينشد :

يا مدمن الذنب أما تستحي والله في الخلوة ثانيكا
غرك من ربك إمهاله وستره طول مساويكا

مقترف معصية إن علم أن الله يعلم فهو مجترىء وخاسر ، وإن علم أن الله لا يعلم فهو جاهل وكافر ، لأن الله يعلم .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَارِزاً يَوْماً لِلنَّاسِ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ : مَا الإِيمَانُ ؟ قَالَ : « **الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَبِلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ** » قَالَ : مَا الإِسْلامُ ؟ قَالَ : « **الإِسْلامُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَلا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَتُقِيمَ الصَّلاةَ وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ** » ، قَالَ : مَا الإِحْسَانُ ؟ قَالَ : « **أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ . . .** » . [صحيح البخاري] .

وإذا عرف الإنسان أن الله تعالى هو البصير وكان الإنسان عاقلاً زيّن باطنه بالمراقبة ، وزين ظاهره بالمحاسبة .

وكان بعض السلف يقولون : إذا عصيت مولاك فاعصه في موضع لا يراك فيه .

دعا بعضهم فقال : « **إلهي أنت البصير بعيوبي الخبير بذنوبي المطلع على سري ، بيدك زمام أمري ، أسألك أن تجعل في قلبي نوراً ، وفي بصري نوراً لأشاهد حقائق الأشياء ، وأتأدب معك بالظاهر والخفاء . إلهي اجعلني لك من المشاهدين ، وفي حماك من القائمين ، إنك على كل شيء قدير** » .

وهناك أدعية كثيرة تتعلق باسم البصير ، والآية الكريمة :

﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾

[الأنعام : ١٠٣]

أرجو الله سبحانه وتعالى أن يجعل من هذه الموضوعات في أسماء الله الحُسنى قفزة نوعية في معرفة الله ، والحقيقة أنّك إن آمنت أن الله خالق السموات والأرض دون أن تتعرف إلى أسمائه الحُسنى وصفاته الفُضلى ، هذا الإيمان لا يرقى بك إلى النجاة ولا إلى السعادة ، ومن أجلّ معطيات العلم أن تتعلم أسماء الله الحُسنى وصفاته الفُضلى ، وتتعرّف إليها ، وتهتدي بها .

* * *